الحياة العقلية
في صدر الإسلام ومراكزها

Mental life in early Islam and its centers

م. د. عمر محمد علي

المديرية العامة لتربية الأنبار - قسم تربية الفلوجة

M.D. Omar Muhammad Ali

General Directorate of Anbar Education

Fallujah Education Department

omer msalim508@gmail.com

Summary:

The study of mental (scientific life) in the era of early Islam is a major turning point in the history of the Arab-Islamic state. Learning illuminates the path of progress and advancement for nations. It is the first foundation for the formation of the individual and the refinement of his abilities. From the first days of the Islamic call, the Messenger Muhammad (peace and blessings be upon him) began raising and educating Muslims in order to refine their souls and polish them with science and knowledge and to teach them. From what God Almighty taught him, The first work that our Master Muhammad (peace be upon him) embarked upon after his arrival to Medina (Yathrib) was the construction of the mosque, which he used as a place of worship and a school for the education of its companions, as the Prophet's Mosque was the first university in Islam. Scientific life flourished during the era of the Messenger (peace be upon him). And after him, the Rightly Guided Caliphs (may God Almighty be pleased with them all). Hence the importance of choosing the topic of our research: mental life at the beginning of Islam and its centers. The research was divided into an introduction, three sections, and a conclusion.

الملخص

تعد دراسة الحياة العقلية (العلمية) في عصر صدر الاسلام نقطة تحول كبرى في تاريخ الدولة العربية الإسلامية فالتعلم يضئ الامم طريق التقدم والرقي فهو الأساس الاول لتكوين الفرد وصقل قدراته فمنذ الأيام الاولى للدعوة الإسلامية شرع الرسول محمد بتربية المسلمين وتعليمهم ليهذب نفوسهم ويصقلها بالعلم والمعرفة وليعلمهم مما علمه، المولى عز وجل، فقد كان أول عمل شرع فيه سيدنا محمد ﷺ بعد قدومه الى المدينة المنورة (يثرب) هو بناء المسجد الذي اتخذ منه مكاناً للعبادة ومدرسة لتعليم اصحابه، اذ كان المسجد النبوي بمثابة الجامعة الأولى في الاسلام فقد ازدهرت الحياة العلمية في عهد الرسول ﷺ ومن بعده بالخلفاء الراشدين (رضوان الله تعالى عليهم اجمعين) ومن هنا جاءت اهمية اختيار موضوع بحثنا **الحياة العقلية في صدر الاسلام** ومراكزها وقد قسم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة, تناول المبحث الاول أول وأهم هذه المراكز العلمية والعقلية وهي الحجاز ومركز مكة المكرمة وثانياً تطرق عن الحياة العلمية في المدينة المنورة عاصمة الخلافة الإسلامية واما المبحث الثاني فقد تناولت فيه عن الحياة العقلية والعلمية في العراق إذ قُسم الى أولاً مركز البصرة واهميته في الحياة العلمية واما ثانياً فقد كان لمركز الكوفة وما بينت فيه من وسائل للحركة العلمية فيها واما المبحث الثالث والأخير فقد كان من نصيب مصر وبلاد الشام إذ قسم الى اولاً المركز العلمي في مصر وثانياً المركز العلمي والعقلي في بلاد الشام ثم الخاتمة والتي قدمنا فيها اهم النتائج التي توصلنا اليها من خلال بحثنا.

المقدمة

إن دراسة الحياة العقلية (العلمية) في عصر صدر الإسلام, تُعتبر إنحراف كبير في تاريخ الدولة العربية الإسلامية فقد شرع النبي ﷺ بتربية المسلمين وتعليمهم ليهذب نفوسهم ويصقلها بالعلم والمعرفة وليعلمهم مما علمه الله عز وجل، فقد كان أول عمل قام به سيدنا محمد ﷺ بعد قدومه الى المدينة المنورة (يثرب) هو بناء المسجد الذي اتخذ منه مكاناً للعبادة ومدرسة لتعليم اصحابه، اذ كان المسجد النبوي بمثابة المؤسسة العلمية والعقلية الأولى في الاسلام فقد ازدهرت الحياة العلمية العقلية في عهد الرسول ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين (رضوان الله تعالى عليهم اجمعين) ومن هنا جاءت أسباب اختيار موضوع بحثنا الحياة العقلية في صدر الاسلام ومراكزها, وقد تناولت الدراسات السابقة اجمالاً هذا الموضوع من خلال الدراسة والتأليف في السيرة النبوية كالمؤرخ أكرم ضياء العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة واحمد غلوش في كتابه السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني وأحمد أمين في كتابة فجر الإسلام, وقد قسم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة, تناول المبحث الاول أول وأهم هذه المراكز العلمية والعقلية وهي الحجاز ومركز مكة المكرمة وثانياً تطرق عن الحياة العلمية في المدينة المنورة عاصمة الخلافة الإسلامية واما المبحث الثاني فقد تناولت فيه عن الحياة العقلية والعلمية في العراق إذ قُسم الى أولاً مركز البصرة واهميته في الحياة العلمية واما ثانياً فقد كان لمركز الكوفة وما بينت فيه من وسائل للحركة العلمية فيها واما المبحث الثالث والأخير فقد كان من نصيب مصر وبلاد الشام حيث قسم الى اولاً في مصر وثانياً المركز العلمي والفكري في بلاد الشام ثم الخاتمة والتي قدمنا فيها اهم النتائج التي توصلنا اليها من خلال بحثنا هذا ، واما المنهج المتبع في كتابة هذا البحث وهو منهج الاستقراء والاستنباط لأقوال المؤرخين من خلال الحوادث التأريخية ثم الانتهاء الى خلاصة الأقوال والأحداث وفق معايير معينة ووفق المنهج التاريخي من خلال تتبع التطور العلمي الحاصل في حياة المسلمين في عهد النبوة والخلافة الراشدة من خلال المصادر والمراجع.

تمهيد

أولا: تعريف صدر الاسلام.

١- معنى صدر الإسلام لغة.

صدر: الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله، حتى إنهم ليقولون: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف، وما أشبه ذلك مذكرا[١], وصدر: مفرد وجمعه صدور، وهو مقدم كل شيء، فالصدر الأعظم: الوزير الأكبر، وصدر ألإسلام بدايته، وصدر المكان: وجهه وصدر القوم: رئيسهم وصدر ألكتاب أوله[٢].

٢_ معنى صدر الإسلام في الاصطلاح.

أما في الاصطلاح، فإن تاريخ صدر الإسلام يشتمل على السيرة النبوية المطهرة والعصر الراشدي[٣]، ويمثل هذا العصر أوج الحضارة العربية والإسلامية لأنه أكثر إستعداداً وإنقياداً لعبادة الله وتوحيده والمساواة في الحقوق والواجبات، وسلوك المسلمين في صدر الإسلام أكثر التزاماً بتعاليم الشريعة من سلوك المسلمين في القرن الرابع الهجري [٤]، وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ في حديثه: قال رسول الله : (خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)[٥].

---

(١) ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣ ، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج٤, ص٤٤٥.

(٢) أحمد مختار عبد الحميد (ت ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط ١، - ٢٠٠٨م، ج٢, ص١٢٧٨.

(٣) أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٨، ٢٠٠٩م، ج١, ص٢٩.

(٤) أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة، ج١, ص٣٦.

(٥) مسلم: مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم, باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم رقم ٢٥٣٣, ج٤, ص١٩٦٢.

ويرى المؤرخ طقوش أن مصطلح عصر صدر الإسلام يطلق على الخلفاء الرشدين من بعد وفاة النبي ﷺ [١]، وهذا خلاف ما هو معلوم ومعروف لدى الباحثين لا سيما اهل الاختصاص من المؤرخين.

ثانياً: الحركة العلمية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

يُعد الاسلام رافع ومثبت قدر العلم والمهتم بالتعليم واحترام العلماء والثواب بإعلى الدرجات وجعل لله تعالى العلم هو الميزة التي يفضل بها بعض الناس على البعض ، ولما رفع الاسلام قدر العلماء وجعل العلم ميزاناً يزن به الرجال فيرفع به أقواماً ويخفض بفقده آخرين ختم على المسلمين طلب العلم عليهم فريضة الى يوم القيامة يقوله عليه الصلاة والسلام : ((وطلب العلم فريضة على كل مسلم))[٢] وحث الله – عز وجل – نبيه ﷺ على طلب الزيادة في العلم ليكون قدوة لنا فلا يمل احد من طلبه ولا يعتقد أحد أنه حصل منه ما يكفيه فلا يستزيد منه, ولم يقتصر الاسلام على الدعوة الى التعلم بواسطة القرآن الكريم والسنة النبوية بل أتخذ الرسول ﷺ خطوات عملية لتحقيق ذلك فجعل فداء أسرى بدر الذين يحسنون الكتابة أن يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين ، وأمر سعيد بن العاص رضي الله عنه أن يعلم المسلمين القراءة والكتابة، وهكذا انتشرت الكتابة بين المسلمين حتى اصبح عدد كتاب النبي ﷺ أثنين وأربعين كاتباً[٣].

ويُعد المسجد أول مدرسة في الاسلام ، فلم تكن مهمته مقصورة على العبادات فقط بل كانت أوسع من ذلك وكان أعظم مهماته كونه مدرسة ليعلم الرسول ﷺ فيها اصحابه ، وبذلك يصبح المسجد مدرسة للمسلمين, يتعلمون فيها كل ما ينقصهم من امور دينهم ومصالح دنياهم ولعل السر في ذلك ان ترتبط حياة المسلم بالمسجد فيصبح مدرسته التي يتعلم فيها والمكان الذي يجتمع فيه إخوانه، وعندما ترتبط حياة المسلم بالمسجد يتعلق به قلب وروحه ويجد في رحابه أُنسُ نفسه وهناك تكون خلوته بربه وراحته بقربه وتسمو الحياة في نظره لأنها الوسيلة للوصول الى

---

(١) محمد سهيل طقوش, تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٥.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، الرياض، المكتبة الوقعية، ١٩٩٥م، ص٣٦.

(٣) ابن عبد البر القرطبي، ابو عمر يوسف بن عبدالله ، (ت: ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، لبنان، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م، ط١، ج٢، ص٣٦٩.

ما يريد، وقد عرفت ادوات الكتابة في عهد الرسول ﷺ كالقلم والدواة - المحبرة - وأما الالواح فكانوا يكتبون على الخرق والاكتاف والحجارة وسعف النخيل وكان للنبي ﷺ كُتّاب يكتبون له الوحي والكتب التي تخص المعاهدات والصلح وغير ذلك وأن هؤلاء الكُتاب كانوا يكتبون بالقلم والحبر(١).

وقد وضع الاسلام أسس تربوية راعى فيها مصلحة المعلم والمتعلم وتحرى ان تقوم تلك الأسس على قواعد نفسية وصحية وعقلية حتى تحقق الفائدة المرجوة ، ولا شك أن مراعاة هذه الجوانب في التربية من أهم وسائل نجاح العملية التربوية العقلية، وكان النبي ﷺ يقدر ويعرف الامور ويضع كل شيء في موضعه المناسب وكان في تبليغ الرسالة ينهج مع من يبلغهم هذا النهج بتوجيه من الله تعال فكان ﷺ يراعي عقول الناس ويعطي كل شخص ما يصلحه من العلم ووضع ﷺ القواعد العامة لذلك حتى يتبعه المسلمون في تعليم الناس، ولم يفرق الاسلام بين الذكر والانثى(٢).

وبدأت الخلافة الراشدة بتولي ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أمور المسلمين بعد الرسول ﷺ وكانت مدة خلافته مملؤة بالأمور التي شغلتهُ عن الاصلاحات الداخلية كعمارة المسجد والحركة العلمية وغيرهما، كما أن المسلمين أنفسهم كانوا في شغل شاغل عن الاهتمام بتلك الامور حيث كانت حركة الردة قد استفحلت وخشي المسلمون على دينهم أن يقع فريسة في أفواه الوحوش الضارية فهبوا جمعياً لنصرته وتأديب المتمردين وردهم إلى الاسلام او القضاء عليهم، وقضى على الردة والمرتدين وزحفت الجيوش الإسلامية الى العراق والشام ودخلت الجزيرة في الاسلام وأخذت الحركة العلمية وضعها الطبيعي في آخر خلافه الصديق رضي الله تعالى عنه(٣)، ومما لاشك فيه فان عصر الراشدين هو امتداد واضح للعصر النبوي فالحركة العلمية هي مسايرة لكل ما يجد من فتوح وتطور وكل ما يدخل على المسلمين من آثار تلك الفتوح مما كان موجوداً في البلاد المفتوحة من التقدم العلمي والحضاري ويظهر ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين اتسعت رقعة البلاد المفتوحة. ودخل فريق كبير من اهلها في الاسلام وفي عقولهم علوم مدروسة وحضارة موروثة ولم يكن عمر رضي الله تعالى عنه ممن تغيب عنهم

(١) الكتاني، محمد بن عبد الحي، التراتيب الادارية، تحقيق علي محمد دندل، لبنان، بيروت, دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م، ج١، ص ١٢٧.

(٢) احمد امين ، فجر الاسلام ، لبنان ، بيروت، دار الكتاب العربي ، ص ١٥٠.

(٣) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، القاهرة، المطبعة المصرية، ١٩٣٢م ، ط ١،ج ٥، ص٤٤٠.

أثر تلك العلوم وهذه الحضارة في عقول ونفوس أصحابها ولم يكن عمر رضي الله تعالى عنه ممن يضيق صدره بمثل تلك العلوم فيرفضها وكان رضي الله تعالى عنه يعلم تماماً أن هذه العلوم وتلك الحضارة لابد ان تنتقل يوماً ما إلى عقول المسلمين وعاداتهم[١] ويعلم كذلك انها لا بد ان تؤثر في المسلمين بقدر ما تصادف منهم من الوعي والادراك ومع ذلك لم ينه عنها ولم يمنع اصحابها من التحدث بها ولم يمتنع عن نقل تلك العلوم والعمل بها لما فيها من الفوائد التي تعود على المسلمين والمصلحة التي ينتفع بها الجميع وتلك كانت سنة الخلفاء يجهدون انفسهم في تحصيل الخير, وهكذا رسم الخلفاء بعد رسول الله ﷺ مجال الحركة العلمية حتى شملت جميع الجهات المفتوحة وكان حرص الخلفاء على تزويد هذه الجهات بعلماء الصحابة حتى يتعلم أهلها الاسلام من مصادرة الوثيقة من غير تشويه او تحريف، ولقد كان لأهل هذه البلاد المفتوحة علوم وثقافة، وكانت هذه العلوم راسخة في أذهانهم مستقره في عقولهم وكان الخلفاء يخشون من ترك هؤلاء بغير تعليم لمبادئ الدين الحنيف فتتزاحم علومهم القديمة ما يسمعونه من المسلمين فلا يكون للعلم الطارئ عليهم في نفوسهم ، ولهذا اهتم الخلفاء بتزويد هذه الجهات بفطاحل العلماء من الصحابة كي يستطيعوا إزالة ما في عقول الناس من الاوهام وتثبيت مفاهيم الاسلام الصحيحة في الاذهان[٢].

(١) احمد امين ، فجر الاسلام ، ص ١٥٢.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، (ت: ٢٣٠ هـ) ، الطبقات الكبرى، لبنان، بيروت، ١٩٩٥م ، ط١، ج٤، ص٣.

المبحث الأول
الحياة العقلية في الحجاز

الحجاز هو عدة مدن أبرزها التي هي المراكز الدينية للمسلمين إذ فيه مكة (الكعبة المشرفة) التي أرسى قواعدها ابراهيم عليه السلام وفيها ولد النبي محمد ﷺ وفيها يثرب التي تحولت الى اسم المدينة المنورة بعد إن هاجر اليها عليه الصلاة والسلام وفيها اقام وفيها انتقل الى الرفيق الأعلى سبحانه وتعالى[١]، والحجاز منطقه تاريخية تعد احد اقاليم شبه الجزيرة العربية وتضم إضافة الى مكة والمدينة تبوك والطائف والباحة وبلاد عسير وتهامة وسميت حجازاً لأنه يحجز بين ساحل البحر الأحمر وبين النجاد الشرقية المرتفعة بالنسبة الى الساحل الغربي، وكان الحجاز في بعض العصور الإسلامية يعني مناطق ادارية موحدة وظلت تحت حكم الحكومات الإسلامية الى عهد العثمانيين، وكانت الحجاز لها اهمية من الناحية الاقتصادية اضافة الى المركز الديني المهم كونها جسراً بين بلاد الشام وحوض البحر المتوسط من ناحية واليمن والمحيط الهندي من ناحية أخرى فقد ازدهرت الحياة العلمية في كل من مكة والمدينة لأنها كانت منبع الاسلام وبها كانت نشأة الرسول ﷺ وبها كانت دعوة قريش الى الاسلام ومناهضتهم للدعوة ، وبها كان اكثر التشريع الإسلامي وكانت مركزاً لأكثر الاحداث التاريخية في صدر الاسلام وبها حدث الرسول ﷺ اكثر مدينة وكانت مركز الخلافة ايام الخليقة أبو بكر الصديق والخليفة الثاني عمر بن الخطاب والخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم وفيها كثير من الصحابة الذين شاهدوا ما فعل الرسول ﷺ وسمعوا ما قال وهي تعد اهم مركز علمي[٢], لاسيما أن فيها المدينتين المشهورتين مكة والمدينة, فأما مكة فلانها كانت أصل وبداية الاسلام وبها كانت نشأة النبي محمد ﷺ وبها كانت الاحداث الاولى من دعوة قريش إلى الاسلام ومناهضتهم للدعوة وبها كان التشريع المكي وهو لا يفهم فهماً حقاً حتى يفهم ما كان يحيط به من ظروف قليلة، وأما المدينة فعندما هاجر النبي محمد ﷺ واصحابه وبها كان اكثر التشريع الاسلامي ، وكانت منبع

(١) ابن الضياء, محمد بن احمد بن الضياء (ت٨٥٤هـ) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف, تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر, دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان, ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م, ص ٢١٥- ٢١٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج٥، ص٣٢٨ .

لأكثر الاحداث التاريخية في صدر الاسلام وبها حدّث النبي محمد ﷺ اكثر حديثه[١] وكانت مركز الخلافة في أهم عصر من عصور الاسلام أيام ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عنهم، وبها كان كثير من اكابر الصحابة قد شاهدوا ما فعل النبي وسمعوا ما قال، وكانوا مشاركين في كثير ما وقع من احداث كغزوات في عهد النبوة وفتوحات في عهد الخلافة الراشدة, فهم يحدثون بالرواية الشفهية كل ما سمعوا وشاهدوا فقد كانت مكة والمدينة مركزين من اهم مراكز الحياة العلمية في ذلك العصر فهما مقصد طلاب الحديث وطلاب الفقه وطلاب التاريخ، وقد تجاوزت المدينة في ذلك مكة لأن أشهر من اسلم من أهل مكة هاجر مع النبي محمد ﷺ إلى المدينة ، وكان من يسلم بعد الهجرة من اهل مكة يهاجر كذلك لاسيماً اذا كان من رجالات قريش وعقلائها، ثم كانت المدينة مقصد من يريد الاسلام في عهد النبي (عليه الصلاة والسلام) من سكان جزيرة العرب يقيم فى جوار النبي (عليه الصلاة والسلام) يتعلم منه ويسمع من قوله ويطبق[٢].

أولاً: مكة:

بدأت رسالة معلم الانسانية سيدنا محمد ﷺ عام (٦١١م) وكان عمره أربعين سنة ثم إنقطع الوحي عنه ثلاث سنوات ثم بدأ الوحي ثلاثاً وعشرين سنة[٣] وقد أوقف الصحابي الارقم بن ابي الأرقم رضي الله تعالى عنه داره لخدمة النبي ﷺ وقد اشتهر بين المسلمين (الارقم) ويعتبر المنطلق الاول للدعوة في الاسلام، وقد كان موافقاً لجو مكة وحالة الدعوة لأنه كان موقع يكثر فيه اجتماع الناس بسبب الحج بعيدا عن سوق مكة وواقعاً في جبل الصفا منعزلاً عن البيوت فكان له حصتان حصة لسكن النبي ﷺ وحصة اخرى للمدرسة فهي المدرسة الأولى في الاسلام التي أعد منها نظام التعليم لمن يُسلم بدعوة النبي محمد ﷺ وهي المكان المبارك الذي بدأت فيه سلسلة تعليم القرآن الكريم وقراءته وحفظه وتحفيظه وفيها كان انعقاد اجتماع الصحابة لدروس المسائل الضرورية وكان الرسول ﷺ يأمر بكتب وحفظ كل ما ينزل من القرآن الكريم في الليل والنهار[٤]،

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢ ، ص ٣٥٠.

(٢) احمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ١٧٢ .

(٣) اكرك ضياء العمري, السيرة النبيوية الصحيحة, ج١, ص١٢٩.

(٤) الزركشي، ابو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله المصري ، (ت: ٧٩٤٠هـ) ، البرهان في علوم القرآن، لبنان، بيروت، دار احياء الكتب العربية، ١٩٩٠م، ج١، ص٢٤١.

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يتلى ويكتب كثيرا من البداية الى الآن من أول عهد النبي ﷺ الى يومنا هذا، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[١] حيث كان رسول الله ﷺ يشرح ويوضح كلما نزل أمرٌ من القرآن الكريم فالله سبحانه وتعالى لم يترك المعاني غير مقيدة بأن علّمَ الألفاظ فحسب بل جعل حق التفسير والتعبير لرسوله محمد ﷺ وجعل سائر افعاله واقواله وأفكاره وسكوته حجة أبدية وعندما فتح رسول الله ﷺ مكة خلف فيها معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يفقه اهلها ويعلمهم الحلال والحرام ويقرئهم القرآن وكان معاذ من افضل شباب الأنصار علماً و حلماً و سخاء وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ[٢] وكان يعد من اعلام الصحابة بالحلال والحرام و قراءة القرآن ومات رضي الله تعالى عنه شاباً في طاعون عمواس[٣].

وكان لعبد الله بن عباس رضي الله عنه الدور الكبير بهذه المدرسة إذ كان آخرا أيامه يجلس في البيت الحرام ويعلم التفسير والحديث والفقه والسيرة النبوية ويرجع الفضل اليه واصحابه لمدرسة مكة هذه الشهرة العقلية والعلمية، وأن أشهر من تخرج في هذه المدرسة من التابعين مجاهد بن جبر وعطاء بن ابي رباح ، واستمرت هذه المدرسة تتلقى العلم فيها طبقة عن طبقة وكان من مشهوري هذه الطبقات سفيان بن عُيينه ومسلم بن خالد الزنجي وعليهما اخذ الامام الشافعي القريشي علمه في نشأته الاولى بعد إن حملته امه صغيراً من مكان ولادته في غزة وتحولت إلى مكة فتعلم الأدب في باديتها ويحفظ الاشعار ويتعلم اللغة تم نشأ في مدرستها بأخذ الحديث والفقه من علمائها ولما قارب العشرين من عمره تحول الى المدينة ليتم التعلم فيها[٤].

---

(١) سورة النجم ، الآية (٣،٤).

(٢) ابن سعد, الطبقات الكبرى, ج٧ , ص ٣٨٨.

(٣) طاعون عمواس: هو طاعون وقع في بلاد الشام في ايام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٨هـ/ ٦٣٩ م)، بعد فتح بيت المقدس وهو أول وباء يظهر في أراضي الدولة الاسلامية توفي فيه عدد كبير من المسلمين (رضي الله عنه) ومن بينهم ابو عبيدة بن الجراح. ابن سعد, الطبقات الكبرى, ج٣, ص٢٨٣؛ ياقوت الحموي, شهاب الدين ياقوت بن عبد الله معجم البلدان, دار صادر، بيروت, ط٢، ١٩٩٥م, ج٤, ص ١٥٧.

(٤) احمد أمين، فجر الاسلام، ص١٧٢.

ثانياً: المدينة.

لقد بدأت الدعوة في المدينة المنورة - يثرب- قبل هجرة الرسول ﷺ وذلك حينما دعا الانصار وعرض عليهم الإسلام في موسم الحج بمكة المكرمة وتمت بيعة العقبة الاولى في السنة ١١من البعثة النبوية/ ٦٢١م, وقد حضرها اثنا عشر رجلاً من بينهم عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه فبايعوا رسول الله ﷺ ، وبعدها ارسل رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه الى المدينة وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين[١] وكان ذلك يُعد بداية الحياة العقلية العلمية في المدينة المنورة بعد الاسلام, وظل مصعب رضي الله تعالى عنه يدعو في المدينة ويقرأ عليهم ما نزل على رسول الله ﷺ حتى لم يبق دار فى دور الانصار الأ وفيها رجال ونساء مسلمون ولا شك أن الدعوة في المدينة في هذه المدة كانت نفس منهج الدعوة في مكة حتى كانت بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلاً وامرأة واحدة ، هذا وكان يسكن في المدينة مع قبائل العرب من الأوس والخزرج قبائل يهود والمشركين الذين لم يدخلوا في الاسلام بعد ، ثم نشأة بعد ذلك طائفة جديدة هم المنافقون[٢]، وبعد ذلك اصبحت المدينة مهيأة ليهاجر الرسول ﷺ وأصحابه اليها ويجعلها مقراً للدعوة ويؤسس فيها المجتمع المسلم ونجح في نهاية المطاف بفعل اصراره على مواصلة الدعوة وعدم يأسه أو استسلامه وبفعل الثقة التي وعدها الله تعالى له بالنصر في ايجاد القاعدة التي يستند عليها الإسلام وبدأ بناء الدولة والدفاع عن الإسلام وأخذ المسلمون يتوافدون الى المدينة افراد أو جماعات سراً وعلانية مضحين بوطنهم وبعلاقاتهم ومكانتهم وممتلكاتهم في سبيل عقيدتهم ودينهم[٣].

وكان من الاعمال التي باشر بها النبي ﷺ عند وصوله المدينة هو بناء المسجد فهو كان مركزا للعبادة والتعليم والحكم والادارة وكان مأوى للفقراء ومركزاً روحياً وثقافياً وجهادياً ومكاناً للتعارف والتآلف والوحدة بين المسلمين وهو مكان صلاة الجماعة ومقر المجتمع المسلم ورمزه وعنوان وجوده وسر عظمته، وان اول مسجد بني في الاسلام هو مسجد قباء القريب من المدينة حيث كان محطة النبي ﷺ الاخيرة في رحلة الهجرة قبل دخول المدينة ، وكانت جميع المؤسسات

(١) ابن هشام, عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٣هـ), تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي, شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر, ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م, ج١, ص٤٣٤؛ ابن كثير، اسماعيل بن عمر الدمشقي ، (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف ، ط٤ ، ج٣، ص ١٥٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٣، ص ١٥٠.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٢٣.

داخل الدولة قد تحولت الى مؤسسات ذات صبغة شرعية لمسجد قباء والمسجد النبوي(١).

ان مدرسة المدنية كانت اكثرها علماً وأوفرها شهرة ، وقد اشتهر كثير من الصحابة فيها منهم ابو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب رضوان الله تعالى عنهم ولكن هناك من تخصص للحياة العلمية منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وأُبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم إذ كان زيد بن ثابت قد صحب النبي ﷺ منذ صباه وتعلم السريانية والعبرية وله القدرة على استخدام الاحكام من الكتاب والسنة وكان مترئساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض وكان هذا في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وكانت عائشة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ اعلم الناس بالقرآن وبالحلال والحرام والحديث والشعر وهي شخصية متنوعة النواحي بارعة في جميعها وان هذا يدل على ان النبي ﷺ قد نجح في تحويل معظم الصحابة إلى بحر من العلم لا ينزف قعره ،فكانوا بحر العلم والمعرفة. وأئمة في الدين يقتدى بهم وفقهاء يفتون ويستفتون ويحدثون عن النبي ﷺ فيروي عنهم الناس(٢)، فبرع عدد من الصحابة في العلم والمعرفة منهم أبو ذر والمقداد وابو الدرداء وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وهذا يدل على انه كانت هناك حركة علمية قوية بين الصحابة في عهد النبي ﷺ حيث اصبحوا علماء هذه الامة يتفجر العلم في جوانبهم وتنطق الحكمة على لسانهم، أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً يتكلمون فينصت الزمان ويخطبون فيسجل التاريخ(٣)، هؤلاء الصحابة وامثالهم بأي بلاد نزلوا او مدينة اقاموا فيها حولوها إلى جامعات او اكاديميات علمية وهم تفرقوا في البلاد الإسلامية في جميع انحائها مع توسع الفتوحات الإسلامية وانهم وزعوا على الامصار قصداً لتعليمها ، كما فعل النبي ﷺ في مدن الجزيرة العربية ، فأرسل الى المدينة مصعب بن عمير ليعلم اهلها الاسلام ويقرأ عليهم القرآن ويفقههم في الدين حتى فشا الاسلام في المدينة(٤).

وكان يقصد مدرسة المدينة طلبة العلم في اقاصي البلدان لتلقي العلم عن علمائها وهذا محمد بن اسحاق الواقدي نشأ بالمدينة وتخرج في مدرستها فكان، وقد اعتمد على هذه المدرسة كل من كتب بعدها في المغازي والسير فهم أحفظ لحديث رسول الله ﷺ وبغزواته وأعرف بحياته وحياة خلفائه من بعده وبين سمعهم وبصرهم كانت هذه الاحداث وكذلك انجبت هذه

(١) أحمد غلوش ، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، القاهرة ، مؤسسة الرسالة للنشر ، ٢٠٠٣ م ، ط١ ص٢٣٠.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص ٣٧٦.
(٣) الندوي، ابو الحسن ، ماذا خر العالم بأنحطاط المسلمين، لبنان، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر، ص ١١٢.
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٩٨.

المدرسة مالك بن أنس امام دار الهجرة فهو فقيه ومحدث وثاني الأئمة الاربعة عند اهل السنة والجماعة[١].

(١) احمد امين ، فجر الاسلام ، ص ١٧٥.

المبحث الثاني
الحياة العقلية في العراق (البصرة والكوفة)

العراق هو الجزء الجنوبي من وادي دجلة والفرات, وسمي العراق عراقا لأنه على شاطئ دجلة والفرات مدّا حتى يتصل بالبحر على طوله، ، ارضه خصبة وماءهُ وفيرة وجَوّهُ معتدل فكان من اسبق الأقاليم مدنية وعمراناً فنزلت فيه قبائل من بكر وربيعة ، ثم كونوا فيه إمارة هي إمارة المناذرة في الحيرة[١] ثم تحرر بعد الإسلام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ قرر ارسال الصحابي سعد بن ابي وقاص رضى الله تعالى عنه إلى العراق ضد الفرس فأنتصر عليهم في موقعة القادسية الشهيرة بمؤازرة الصحابي المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله تعالى عنه وبعد ان اتمت الدولة الإسلامية فتح العراق اصبح جزء آمن من الدولة الإسلامية التي مركز الخلافة فيها المدينة ما عدا خلافة الأمام علي رضي الله تعالى عنه, أقام معظم أيام خلافته في الكوفة حيث كان يشرف خلال ذلك على شؤون العراق مباشرة ، وقد شيد الخليفة عمر بن الخطاب رض الله تعالى عنه مدينتي البصرة والكوفة وكان العراق يدار من الولاة الذين يتم تعيينهم من قبل الخلفاء في المدينة ، وقد نشطت الحركة الفكرية العلمية في البصرة والكوفة ، حيث نزل عدد كبير من الصحابة فيهما[٢] ومن ابرزهم عبدالله بن مسعود وعلقمة والأسود والحارث بن قيس وغيرهم في الكوفة، أما البصرة فقد ضمت أبا موسى الأشعري وأنس بن مالك ومن التابعين الذين شهدوا صدر الإسلام الحسن البصري رضي الله تعالى عنهم أجمين، وقد برز اهل العراق في اللغة والنحو وقد اتسم النشاط الفكري في العراق بطابع الاعلاء من شأن العقل والرأي، ولذا فقد عرفت المدرسة الفقهية في العراق بأسم مدرسة الرأي، وأهم التي نالها الاهتمام بتفسير القرآن الكريم والسيرة النبوية.

أولاً: البصرة.

هي أشهر مدن العراق وأول مدينة اسلامية بنيت خارج الجزيرة العربية زمن الفتوحات الإسلامية كانت تدعى قبة الإسلام ، وكانت البصرة قبل الإسلام من ثغور العراق فيها خليط من أمم شتى فرس ويونان اصلهم فيها الاسكندر وهنود انتشروا في بطائحها وقد نزلها العرب منذ القديم كما فيها

(١) ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج٤, ص ٩٣.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان ، ج١٧، ص١٢١.

أنباط غير قليلين وكانت هي والأبلة مركزين للتجارة الداخلية والخارجية وكان يرتادها تجار العرب قبل الإسلام ومنهم ابوبكر الصديق، والبصرة في كلام العرب هي الأرض الغليظة التي فيها حجارة صلبة بيضاء، والبصرة مدينة عراقية عظيمة كانوا العرب يسمونها أرض الهند، فكانت أول مدينة عربية أنشئت في العصر الإسلامي وأول من إنشائها في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) بناها الصحابي القائد عتبة بن غزوان (رضي الله تعالى عنه) سنة (١٤هـ) حيث تقدم أليها في ثمانمائة مقاتل فنزلها اواخر (١٤هـ) [١] ، ولما نزل الخريبة مسالم الفرس قريبة من الأبلة (البصرة) كتب الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يعلمهُ نزوله اياها وانه لابد للمسلمين من منزل يشتّون فيه اذا شتوا ويكتسون فيه اذا انصرفوا من غزوهم، فكتب اليه اجمع اصحابك في موقع واحد وليكن قريباً من الماء والرعي واكتب إلي بصفته فكتب إليه أني وجدت ارضاً كثيرة القصبة في طرف البر الى الريف ومنها منافع ماء فيها قصباء، فقرأ الكتاب قال: «هذه ارض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب وكتب إليه أن أنزلها»[٢].

ولما نزل المسلمون البصرة كان أول ما شيدهُ عتبة بن غزوان المسجدا من القصب مع دار إمارة ثم صار المسلمون ينشئون المنازل من القصب ايضاً حتى إذا غزوا محلا نزعوا القصب وحزموه حالاً فإذا عادوا من الغزو سالمين آمنين أعادوا المنازل إلى ما كانت عليه، وكان اب وبكر أول من غرس النخل بالبصرة وقال: هذه ارض نخل تم غرس الناس بعده وأول دار بنيت بالبصرة دار نافع بن الحارث ثم دار معقل بن يسار المزني[٣] وفيها عدد كبير من الأنهر الاروائية الصغيرة منها نهر معقل منسوب الى معقل بن يسار ونهر ابن عمر بن الخطاب، فقد وجه عمر بن الخطاب ابنه عبدالله لحفره فنسب اليه ونهر حسان وهو حسان النبطي صاحب خراج العراق[٤], وقد نزل في البصرة عدد كبير من الصحابة أشهرهم في العلم ابو موسى الاشعري، وانس بن مالك رضي الله تعالى عنهما، فأما ابو موسى فيمني قدم مكة وأسلم وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر وكان يعد من اعلام

---

(١) الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل و الملوك ، لبنان ، بيروت ، دار التراث ، ١٣٨٧ هـ ، ط ٢ ، ج٣ ، ص ٥٩٠ – ٥٩١.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨ م ، ط ١ ، ج١ ، ٣٣٧.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، ابوعبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٢م، ط٢ ، ج١، ص٥٦٣.

(٤) اليعقوبي، ابو العباس احمد بن اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح ، (ت ٢٩٢ هـ) ، البلدان، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م ، ج ١ ، ص ٣٤٦-٣٤٧ .

الصحابة وقد قدم البصرة وعلّم بها، إذ سأل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انس بن مالك : كيف تركت الاشعري ؟ فقال تركته يعلم الناس القرآن ، فقال : اِنه كبير ولا تسمعها اياه[١] وكان يقضي بين الناس في الخصومات لأنه كان فقيها فوق معرفته القرآن والحديث، أما أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فكان انصارياً وكان صبياً لما قدم النبي عليه الصلاة والسلام خدمه عشر سنين، وقد نزل البصرة وعّمر فيها طويلاً وكان أخر من توفى بالبصرة من الصحابة توفي سنه (٩٢هـ) وكان محدثاً اكثر منه فقيهاً.

ثانياً: الكوفة.

لقد أصدر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أمره إلى سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه بتأسيس الكوفة وان يتخذ للمسلمين دار هجرة ومكانا يرابط فيه الجنود مع أسرهم للجهاد والفتوح في سبيل الله [٢]، وهكذا صارت الكوفة ترسم طريقها نحو المدينة الحضرية خطوة خطوة وكان المسجد أول ما أقامه سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه من المنشآت على هذه الارض الجديدة ثم بنى دار الأمارة وبيت المال وخططت المنهج من حول المسجد الجامع ووزعت على القبائل وبنت كل قبيلة في منهجها مسجداً للصلوات الخمسة ومن هذه المساجد بنت كندة مسجد الاشعث وبنت تميم مسجد بني عبدالله وبنت طي مسجد عدي بن حاتم و بنت هوازن مسجد بني عدي و بنت مذحج مسجد بني أود وبنت عبس معدني جذيمة وبنت جهينة مسجد بني دهمان و بنت عامر مسجد بني هلال[٣], ونزل الكوفة من اصحاب رسول الله ﷺ كثيرون وكان اشهرهم هو الامام علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن مسعود حيث كان اول الناس اسلاماً وهو سادس السنة الذين اسلموا وهاجروا إلى الحبشة مع من هاجروا الى المدينة ولازم النبي ﷺ يخدمه وسمح له ان يدخل بيته حين لا يسمح لغيره، وشغف بالقرآن يحفظه ويتفهمهُ كل ذلك جعلهُ يفهم تعاليم الاسلام ومعاني القرآن واعمال الرسول ﷺ، حيث بعثه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى الكوفة يعلم أهلها فأخذ عنه كثير من

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٨٠.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١، ص٢٧٥.

(٣) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ، ت : ٦٢٦هـ ، معجم البلدان ، لبنان ، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م ، ج٤, ٤٩٢.

الكوفيين ولزمه تلاميذ له يتعلمون عنه العلم ويتأدبون بأدبه[١]، وكان يعلم الناس القرآن ويفسر ويروي احاديث سمعها من رسول الله ﷺ ويسأل عن حوادث فيفتي فيها استنباطاً من الكتاب والسنة او برأيه اذا لم يرد فيها كتاب ولا سنة واشتهر من مدرسته هذه ستة كانوا يعملون بالقرآن ويفتون الناس: علقمة والاسود او مسروق، وعُبيدة والحارث بن قيس وعمرو بن شرحبيل وهؤلاء خلفوا عبد الله بن مسعود في التعليم بالكوفة فتكونت في الكوفة حركة علمية كبيرة واشتهر من علمائها من التابعين القاضي شريح والشعبي والنخعي وسعيد بن جبير، ولم تزل هذه الحركة تنمو وتنضج حتى توجت بأبي حنيفة النعمان الكوفي[٢].

وذهب إليها الخليفة على بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه مقر الحكم من المدينة وأصبحت اول عاصمة للخلافة خارج شبه الجزيرة العربية، وبدأ التطور اكثر نحو الحياة المدنية في امارة المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه، انتقل الامام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى الكوفة وهو ما ترك أثره تاريخيا وعمرانياً عليها حيث أحيطت بخندق لحمايتها كما تركز فيها أنصار الامام علي رضي الله تعالى عنه وصارت منذ ذلك الحين إحدى مدارس العلم الشهيرة في العالم الاسلامي ففي الكوفة أمر الامام علي رضي الله تعالى عنه أبا الأسود الدؤلي بوضع قواعد، التحور قامت منذ ذلك الحين مدرسة في علوم اللغة وكان لأهل الكوفة عبر عصور التاريخ باع طويل في الفقه، كما برع من اهلها جابر بن حيان في الكيمياء وما زال عصر الامام علي رضي الله تعالى عنه يلقي بظلاله على المدينة حيث تجري حفائر أثرية في بقايا الكوفة القديمة ادت الى الكشف عن بقايا دار الامارة ، كما افادة هذه الحفائر في التعرف على التاريخ العمراني للمدينة[٣].

(١) الندوي ، ابو الحسن على الحسني ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص١١٢.
(٢) المصدر نفسه, ص١١٣.
(٣) الطبري, تاريخ الرسل والملوك, ج٢, ص ٥١٢.

المبحث الثالث
الحياة العقلية في (مصر وبلاد الشام)

أولاً: مصر.

فتح المسلمون مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٠هـ/ ٦٤٣م[١], وكانت الثقافة اليونانية والرومانية منتشرة فيها ولما اكتمل فتحها أقبل العرب عليها لما سمعوا بغناها وخصب أرضها وخططوا الفسطاط(القاهرة حاليا), حسب قبائلهم ونزلوا بالمدن والارياف واستوطنوها واتخذوا الزرع معاشاً، ودخل كثير من القبط في الاسلام واختلطت انساب العرب بأنساب المصريين بما كان بينهم من تزاوج[٢] اصبحت مصر منذ دخول العرب إليها مركزاً علمياً في الدولة العربية الإسلامية خلال صدر الإسلام كما هي مركز سياسي ولكن الحركة العلمية في كانت في بدء عهدها ولم تكن حركة فلسفية ولا دنيوية إنما كان شأنها شأن جميع المراكز العقلية ذلك لان اكثر شيء قيمة هو الدين، فكان طبيعيا هو العلم السائد في ذلك العصر، ولكن هذا لا يعني ان الثقافة اليونانية والرومانية التي كانت منتشرة في مصر قبل الاسلام قد إنتهت ولم يعد لها اثر بل على العكس فبعد عمليات الفتح واستقرارها، هدأت النفوس وأخذت الثقافة اليونانية والرومانية تستعيد نشاطها وقوتها بعد ان صبغت بالتعاليم الإسلامية وعدّلت حسب ما يتفق والاسلام[٣]، وكان من الصحابة الذين نزلوا بمصر علماء علّموا بها وكانوا اساس مدرستها وأشهرهم عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه إذ كان اكثر الناس حديثاً عن رسول الله ﷺ، وهو الذي استأذن رسول الله ﷺ ان يكتب عنه فأذن له ، وكان له صحيفة سمعها من رسول الله ﷺ كان يسميها الصادقة وكان يحج ويعتمر ويأتي للشام ثم يرجع إلى مصر وابتنى فيها داراً فلم يزل بها حتى مات ودفن في داره في مصر، ويعد بحق مؤسس المدرسة المصرية فقد أخذ عنه كثير من أهل مصر وكانوا يكتبون عنه ما يحدّث[٤]، وقد اشتهر من مدرسة مصر بعد الصحابة يزيد بن ابي حبيب

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج٤, ص ٤٩١.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، ت: ٨٤٥هـ ، الخطط المغريزية ، لبنان ، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨م ، ج ١ ، ص٨٢.

(٣) احمد امين ، فجر الاسلام ، ص ١٩٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ، ص٤٩٩.

وهو من نقله، وقد اخذ العلم عن بعض الصحابة المقيمين بمصر وأنه أول من نشر العلم بمصر في الحلال والحرام ومسائل الفقه ، وكان ثالث الثلاثة الذين جعلهم عمر بن عبدالعزيز الفتوى إليهم بمصر وكان يزيد عالماً بالفتن والحروب وخاصة ما يتعلق بفتح مصر وشئونها وولاتها ، وكان من اشهر تلاميذه عبد الله بن لهيعة والليث بن سعد وقد ولى القضاء عبدالله بمصر نحو تسع سنين واما الليث فكان ذا منزله في قومه يستشيره الولاة والقضاة في عظائم الامور(١).

ثانياً: الشام.

تم فتح الشام بعد سلسلة من المعارك التي وقعت بين (١٢هـ – ١٩هـ) وقد تولى قيادة تلك الحملات كل من خالد بن الوليد وابو عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان رضي الله عنهم, وقد افضت في نتائجها النهائية إلى انتصار المسلمين وخروج الشام من سيطرة الإمبراطورية البيزنطينية وبدأت المعارك في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه بعد نهاية حروب الردة وفتحت العديد من المدن الشامية دون قتال بعد ان اعطى المسلمون اهلها عهداً يحفظ الامن والاملاك الخاصة والحرية من الرق وعدم التعرض للدين ودور العبادة بما فيها الكنائس والأديرة والصوامع وعدم ارغام الناس على اعتناق الإسلام(٢)، واستقبل اهالي الشام الذين كانوا يدينون المسيحية المسلمين بالترحاب بعد انسحاب الروم في البلاد ويرجع تقبل النصارى للمسلين الى عدة اسباب منها الرابطة العرقية والقومية واستمالت قلوب المسيحيين إلى الإسلام و جعلت النصارى يفضلون العيش في ظله لأنه الدين الوحيد الذي لم يفرض الاعتناق بالقوة(٣)، وقسم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولاية الشام الى اربعة اجناد وهي جند دمشق وجند حمص وجند فلسطين وجند الاردن واقام المسلمون العديد من المدن في معسكرات خاصة واقام بعضهم داخل المدن المفتوحة إلى جانب اهلها من اليهود والنصارى وتركوهم يمارسون حياتهم اليومية. كما اعتادوا في العهد البيزنطي وحافظ المسلمون على النظم الادارية الرومية التي كانت تنطبق في الشام قبل الفتح لذا بقيت اللغة اليونانية وهى لغة الامبراطورية البيزنطية الرسمية لغة التواصل اليومى فى الشام لحوالي ٥٠ سنة ، عندما استبدلت النظم الادارية الرومية بنظم جديدة معرّبة نتج عنها استغراب

(١) المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص ٣٣٣.

(٢) الطبري, تاريخ الرسل والملوك, ج٢, ص٣٣١؛ طقّوش ، محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين، لبنان ، بيروت، دار النفائس ، ط١، ص١٦٩.

(٣) طقّوش,محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين ، ص ١١٠ – ١١١.

البلاد بشكل تام بعد مرور الوقت[١].

والشام غني خصب الارض كثير المياه ، معتدل الجو وكان مبعثاً لكثير من الانبياء فنشروا فيه تعاليمهم الدينية ، وتعاقبت عليه المدنيات المختلفة فأورثته علمها وحضارتها ففيها فينيقيون وكلدانيون ومصريون وعبريون ويونانيون ورومانيون وكان لهم علم وانتشر علمهم في البلاد وكان من اهل الشام انفسهم من شارك في العلم ونبغ فيه ونافس علماء الامم المستعمرة واشتهر في الشام كثير من المدن كانت مركز للعلم والحركة العقلية كصور وأنطاكية وصيدا وبيروت ودمشق وحمص ، أورثها الفينيقيون الكتابة والعبريون التعاليم الإلهية واليونانيون المذاهب الفلسفية والرومان النظريات الفقهية فكان هذا كله الأثر الكبير في عقلية الشاميين، وقد عرف العرب قبل الاسلام هذه البلاد فزحفوا اليها وتأقلموا بإقليمها واعتنقوا النصرانية بعد انتشارها في ربوع الشام وتمدنوا بشيء من مدينتها وتكلموا بلغة هي خليط من الآرامية. والعربية وعدوا انفسهم سوريون يرتبطون بسوريا اكثر مما يرتبطون بجزيرة العرب[٢] وعند ما فتح الاسلام هذه البلاد ونشر لغته وتعاليمه بها، أخذ الشاميون يتعلمون لغة قريش ، وبدأ اهل الشام انفسهم يتعلمونها ويتكلمون بها مع لغتهم الآرامية أو اليونانية كذلك أخذ الاسلام يحل محل النصرانية واليهودية ودخل كثير من الشاميين في الاسلام ، وبعث عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه من يعلمهم الدين الجديد شأنه شأن الممالك التي فتحت في عهده، فأرسل معاذ وعبادة وابا الدرداء رضي الله تعالى عنهم وكان هؤلاء اول مؤسسي المدرسة الدينية بالشام[٣] ، وقد تفرق هؤلاء الثلاثة في بلاد الشام يعلمون أهلها، فقد نزلوا جميعا في حمص ، ثم خلفوا بها عبادة وخرج ابو الدرداء إلى دمشق ومعاذ الى فلسطين ثم خرج عبادة بعد الى فلسطين، وقد بعث عمر رضي الله تعالى عنه بعد هؤلاء عبد الرحمن بن غنم المدرسة فتخرج على يديهم جمعياً كثير من التابعين كأبي ادريس الخولاني ومكحول الدمشقي وعمر بن عبد العزيز وتخرج من هذه المدرسة إمام اهل الشام عبد الرحمن الاوزاعي ولقب بأمام اهل الشام وقلده اهلها، وكان بالشام نصارى كثيرون احتفظوا بدينهم ورضوا بدفع الجزية عن رؤسهم والخراج على ارضهم ودخل كثير من النصارى في الاسلام وكان من هؤلاء مثقفون بالثقافة النصرانية وقامت المساجد بجانب الكنائس فسرعان ما كان الاحتكاك بين الإسلام والنصرانية،

(١) الإصفهاني، ابو عبد الله حمزة بن الحسن ، ت ٣٦٠هـ، تاريخ سني الملوك والارض والانبياء، لبنان ، بيروت، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١ ، ط١ ، ص٩١ .

(٢) احمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ١٨٨.

(٣) المقريزي ، الخطط ،ج١، ص٨٢.

وكان بينهما جدال وحوار وخصومة وسبب هذا الاحتكاك ظهور الكلام في القضاء والقدر أو الجير والاختيار والكلام في صفات الله سبحانه وتعالى عما يصفون ، وكان هذا الاساس الاول لعلم الكلام في الإسلام[1].

(١) احمد امين ، فجر الاسلام ، ص ١٨٩.

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة بحثنا هذا (مراكز الحياة العقلية في صدر الاسلام) بفضل الله تعالى سنعرض اهم النتائج التي توصلنا اليها والتي تناولنا فيها ما كتب الفقهاء ، وما ذكرته كتب السير والتاريخ من تطبيق عملي للدولة الإسلامية خلال حكمها في صدر الاسلام.

١. كانت الحركة الدينية والعلمية والعقلية اكثر الحركات انتشاراً وأوسعها ميداناً.

٢. ان اكثر العلماء الذين ظهروا في هذا العصر كانوا علماء دين وان السبب في ذلك ان الدين ملكَ على الناس نفوسهم ورأوا فيه سبب وحدتهم وعلة نهضتهم ولولاه لظل العرب اشتاتاً واحزاباً يضرب بعضهم بعض ولولاه لقبعوا في كسر بيتهم ولما فتحوا الأمصار ودخلوا الممالك فهو عزهم في الدنيا ورجاءهم في الآخرة.

٣. اثبتت الدراسة ان من العلوم الدنيوية والفلسفية، وتعرف الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الامصار وكان هؤلاء علماء رحلوا للتعليم فكانوا نواة لمدارسها.

٤. أوضحت أن هؤلاء الصحابة العلماء كانت لهم شخصيات عالميه مختلفة كان لها تأثير في مدارسهم وكان اكبر الشخصيات تأثيراً في الأمصار هي: عبد الله بن عمر في مدرسة المدينة وعبد الله بن مسعود في مدرسة الكوفة وعبد الله بن عباس في مدرسة مكة وعبد الله بن عمرو بن العاص في مدرسة مصر ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء في مدرسة الشام.

٥. لم يكن هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين يحيطون علماً بكل ما قاله النبي ﷺ وفعله او بكل ما يتعلق بتعاليم الدين بل كان منهم من صحب النبي ﷺ في بعض الاوقات دون بعض ففاته حين لم يصحبه علم حمله غيره.

٦. بينت الدراسة ان خلف هؤلاء الصحابة التابعون فتلقوا عنهم وحلوا محلهم في رفع لواء العلم وشَعَر كثير منهم بأن في الامصار الاخرى علماً غير علمهم فأكثروا من الرحيل فكانت هناك حركة علمية دائمة للعلماء.

فمصري يرحل الى المدينة ومدني يرحل إلى الكوفة وكوفي يرحل الى الشام وشامي الى هنا وهناك وهكذا عملوا على توحيد الوطن العلمي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر:

البلاذري، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر ، (ت: ٢٧٩هـ).

١- فتوح البلدان ، القاهرة ، المطبعة المصرية بالازهر ١٩٣٢م، ط١.

٢- فتوح البلدان ، لبنان ، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨م، ط ١.

الزركشي ، ابو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله المصري (ت:٧٩٤هـ).

٣- البرهان في علوم القرآن ، لبنان، بيروت، دار احياء الكتب العربية، ١٩٩٠م.

ابن سعد ، محمد بن منيع البصري الزهري ، (ت: ٢٣٠هـ).

٤- الطبقات الكبرى ، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م ، ط١.

الاصفهاني، ابو عبد الله حمزه بن الحسن ، (ت: ٣٦٠هـ).

٥- تاريخ سني الملوك والارض والانبياء ، لبنان ، بيروت ، مكتبة الحياة ، ط١.

ابن الضياء, محمد بن احمد بن الضياء(ت٨٥٤هـ).

٦- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف, تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر, دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان, ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت: ٣٦٠هـ).

٧- المعجم الاوسط، الرياض ، المكتبة الوقفية ، ١٩٩٥م ، ط١.

الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، (ت: ٣١٠هـ).

٨ - تاريخ الرسل والملوك ، لبنان ، بيروت، دار التراث (١٣٧٨هـ)، ط٢

ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله النمري، (ت: ٤٦٣هـ).

٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لبنان، بيروت، ١٩٩٢ م ، ط١.

ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم ، (ت: ٢٧٦هـ).

١٠- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٢م ، ط٢.

ابن كثير اسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت:٧٧٤هـ).

١١ - البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة المعارف، ط٤.

المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ، (ت: ٨٤٥هـ)
١٢- الخطط المعريزية لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م
ابن هشام، ابو محمد عبد الملك بن ايوب الحميدي ، (ت: ٢١٨هـ)
١٣- السيرة النبوية ، لبنان ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م.
ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ)
١٤- معجم البلدان, دار صادر، بيروت, ط٢، ١٩٩٥م.
اليعقوبي، ابو العباس أحمد بن اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: ٢٩٢هـ)
١٥- البلدان ، لبنان ، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٨٨م.

ثانيا: المراجع :

أحمد أمين.
١- فجر الاسلام، لبنان ، بيروت، دار الكتاب العربي.
احمد غنوش.
٢- السيرة النبوية والدعوة فى العهد النبوي، القاهرة، مؤسسة الرسالة للنشر، ط١.
طقوس ، محمد سهيل.
٣- تاريخ الخلفاء الراشدين ، لبنان ، بيروت، دار النفائس، ط١.
الكناني، محمد بن عبد الحي.
٤- التراتيب الإدارية، تحقيق علي محمد دندل ، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م.
الندوي، ابو الحسن الندوي
٥- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، لبنان ، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر.